الدكتور يوسف القرضاوي

جيل النصر المنشود

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

جيل النصر المنشود

قال صاحبى ، والحيرة تطويه وتنشره ، والهم يقيمه ويقعده ، بعد ما رأى مجازر بيروت ، ومذابح صبرا وشاتيلا، يُراق فيها الدم الإسلامى بلا حساب ، وتُذبح فيها النساء والأطفال والشيوخ بلا خوف ولا حياء ، وتُهدم البيوت ، وتُدمَّر المخيمات على أهلها العزل بلا مبالاة ، والعرب خاصة - والمسلمون عامة - فى مشرقهم ومغربهم عاجزون عجز الموتى ، والعالَم المتحضر يتفرج على المأساة ولا يُحرِّك ساكناً ، ولا يُسكِّن متحركاً : أما رأيت؟ أما سمعت ؟ !!

قلت : بلى ، رأيتُ وسمعتُ ، وعشتُ المأساة بقلب يتفطر، وأعصاب تحترق ، لما رأيت من تخاذل العرب ، وعجز المسلمين ! وقبل ذلك غُزِيت بلاد إسلامية فى عُقْر دارها ، ودُمِرت مدن إسلامية عريقة على أهلها ، وهُدمت مساجدها ، وقُتِل الراكعون الساجدون فيها ، وانتُهِكت أعراض المحصنات المؤمنات ، ولم نسمع ولم نر للعرب والمسلمين كلمة أو موقفاً فيه إنكار على

الطغاة ، أو نجدة المستضعفين ، إنما هو صمت القبور الموحشة فى الليل البهيم !

فإذا سمعتَ لهم صوتاً جهيراً ففى شتم بعضهم بعضاً ، وإذا رأيتهم يوماً يتحركون بحماس وقوة ، ففى قتال بعضهم بعضاً ! كأنما أرادوا أن يكونوا على النقيض من أصحاب رسولهم الكريم .. الذين كانوا ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، ليكونوا هم أشداء على أنفسهم ، رحماء بعدوهم ، أعزة على المؤمنين ، أذلة للكافرين ! وكأنما أعجبهم من صفات اليهود ما وصفهم الله به من قبل : ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُم جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

قال صاحبى : ولكن أما لهذا الظلام من آخر ؟ أما لهذا الليل من فجر ؟ أما آن لهذه الأمة أن تعرف غايتها ، وتهتدى إلى طريقها ؟ أما آن لها أن تجمع كلمتها ، لتقتل عدوها ، بدل أن يضرب بعضها رقاب بعض ؟ أما آن أن تذكر نفسها بعد أن نسيت نفسها ؟ أما آن لها أن تغسل ذل الانكسار بعز الانتصار ؟ أما آن لها أن تمحو أيام الهزائم والنكسات السود ، بيوم أبيض . كيوم خالد فى اليرموك ، أو سعد فى القادسية ، أو عمرو فى أجنادين ،

---

(١) الفتح ٢٩ . (٢) الحشر : ١٤

أو طارق فى الأندلس ، أو صلاح الدين فى حطين ، أو قطز فى عين جالوت ، أو محمد الفاتح فى القسطنطينية ؟

قلت له : لا تيأس ياصاحبى ، فسُنَّة الله أن يعقب الليل الغاسق بفجر صادق ، وأشد ساعات الليل حلكة وسواداً هى السويعات التى تسبق بزوغ الفجر ، ولكن لله فى خلقه قوانين صارمة لاتحابى ، وسُنناً ثابتة لا تتبدل . ولا بد لنا أن نعيها ، ونتعامل على بصيرة معها . ونركز هنا على أمرين أساسيين :

● روح أُمتنا الإسلام :

أولاً : إن للأمم روحاً ، تحيا به ، كما للفرد روح ، فإذا فقدت الأمة روحها أصبحت أفراداً بغير رباط ، أو بناءً بغير أساس . كما أن الفرد إذا فقد روحه أصبح جثة بلا حياة . وصدقنى ياصاحبى أن أمتنا تعيش فى زماننا بغر روح ، أو يراد لها أن تعيش بغير روح !

قد تقول لى : ما روح أمتنا ؟ ومَنْ ذا يريد لها أن تعيش بغير روح ؟

وأقول بكل صراحة : روح أمتنا هو الإسلام ، هو الذى أحياها بالأمس من موات ، وجمعها من شتات ، وهداها من ضلالة ،

وعلّمها من جهالة ، وأخرجها من الظلمات إلى النور ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس .

الإسلام هو الذى أنشأ من عُبّاد الصنم ورعاة الغنم ، رعاة الأمم ، وهداة الظلم ، هو الذى نشر هذه الأمة بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، يُعلّمون الكتاب والحكمة ، وينشرون العدل والرحمة ، ويجمعون الناس تحت راية العلم والإيمان . ويُخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

الإسلام هو الذى أبقى على الأمة فى عصور الضعف ، حركها لصد الغزو ، واستثار قواها ووحدتها لمقاومة الزحف التترى القادم من الشرق ، والزحف الصليبى القادم من الغرب ، وهو الذى كان وراء نصرها على الصليبيين فى حطّين، وعلى التتار فى عين جالوت. وهو القادر على أن يعيد إليها اليوم حيويتها ، ويوحد باسم الله كلمتها ، ويفجر بالإيمان طاقاتها ، فمن أراد لهذه الأمة أن تعيش بغير الإسلام ، فقد أراد لها أن تحيا بلا روح ، وأن تكون غثاء كغثاء السيل .

وأما الذين يريدون لها أن تعيش بغير روح فهم أعداؤها، الحاقدون عليها ، والخائفون منها ، والطامعون فيها ، جمعتهم -

على تفرقهم - الأحقاد والمخاوف والأطماع ، ليكيدوا لها كيداً ، ويمكروا بها مكراً ، ما بين يهودى فاجر ، وصليبى ماكر ، وشيوعى كافر ، وبين عميل لهذا أو ذاك ، يعملون سافرين حيناً ، ومقنّعين أحياناً .

* * *

● بعض مشكلاتنا الكبرى :

ومشكلة المشكلات : أن جمهرة الأمة مخدَّرة ذاهلة عن نفسها ، غافلة عن حقيقة رسالتها ، وهى مبرر وجودها وبقائها . فهى لا تعرف عدوها من صديقها ، ولا تبصر ما يُحَاك لها من مؤمرات فى الظلام ، وما يُدَس لها من سموم فى الدسم والحلوى ، وما يُوجَّه إليها من معاول الهدم فى صور براقة ، وتحت عناوين خدّاعة . فهى تسمى الكفر حرية ، والفجور فناً ، والانحلال تقدماً ، وتحسب الورم شحماً، والسراب ماءً !

ومشكلة - بل مشكلات أخرى - تعانيها أمتنا ، هى الفجوة التى نحسها ونلمسها بين المسلمين بعضهم وبعض ، نتيجة للعصبيات القومية أو الإقليمية أو اللغوية ، وللمذاهب المستوردة التى اتبعت سبلها الأنظمة المختلفة ، فتفرقت بهم عن صراط الله .. وللأنانيات الحاكمة التى تؤثر الهوى على الحق ، والمغنم العاجل

على رضوان الله تعالى ، والمنفعة الشخصية أو المحلية على مصلحة الأمة الكبرى .

ثم هناك الفجوة التى نشعر بها داخل كل بلد بين الحكّام والشعوب ، فالشعوب بفطرتها وتاريخها وواقعها مع الإسلام ، والحكّام بحكم نشأتهم وتربيتهم ومصالحهم وولاءاتهم مرتبطون بالمعسكرات المعادية للاسلام . فهم لهذا - إن لم يكرهوا الإسلام - يخشون من حكمه أن يعود ، ويخافون من تعاليمه أن تسود وتقود . وبهذا يبقون فى واد ، وشعوبهم فى واد آخر ، كأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان !

ثم تأتي الفجوة الأخرى بين النخبة المتعلمة والجماهير ، فالجماهير فى جملتها دينية التفكير ، دينية المشاعر ، دينية السلوك . أما النخبة - أعنى كثرتها لا جميعها - فقد غزاها الاستعمار الثقافى وعزلها عن قاعدتها ، وحشا رؤوسها بمفاهيم خاطئة عن الإسلام وشريعته وتاريخه وأمته ، فغدت تؤمن بالعلمانية (اللادينية) فكرة ومنهاجاً ، وتعتبر الدين مجرد علاقة بين المرء وربه ، فلا يُسمح له أن يقود الحياة أو يتدخل فى المجتمع بالتشريع أو التوجيه أو التنفيذ. فإن سُمِحَ له بموقع فحسبه المسجد للصلاة أو للموعظة ، وحسبه حصة الدين فى المدرسة ، والحديث

الدينى فى الإذاعة أو التليفزيون ، والعمود الدينى فى الصحيفة .. وهم بذلك متبرعون له متفضلون عليه ! أما أن يتخذ الاسلام نظاماً للحياة ، أو دستوراً للدولة ، فلا ، وألف لا !

* * *

● قوانين النصر :

إن النصر لا يأتى عفواً ، ولا ينزل اعتباطاً ، ولا يخبط خبط عشواء ....

إن للنصر قوانين وسُنناً سجلها الله فى كتابه الكريم ، ليعرفها عباده المؤمنون ويتعاملوا معها على بصيرة .

* أول هذه القوانين :

إن النصر من عند الله تعالى . فمَنْ نصره الله فلن يُغلب أبداً ، ولو اجتمع عليه مَنْ بأقطارها ، ومَنْ خذله فلن يُنصر أبداً ، ولو كان معه العَدد والعُدَّة .

وهذا ما نطقت به آيات القرآن واضحة بلا غموض ، قاطعة بلا احتمال : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

---

(١) آل عمران : ١٦٠ .

to: www.al-mostafa.com

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

قد ينصر اللّه القِلّة على الكثرة كما نصر أصحاب طالوت – على قلتهم – على جند جالوت مع كثرتهم ، رغم أن فى أصحاب طالوت مَنْ قال حين رأى كثافة العَدد ، وقوة العُدَد فى جيش جالوت : ﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

وقد ينصر مَنْ ليس معه جيش ولا سلاح قط ، كما نصر رسوله محمداً ﷺ يوم الغار : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) الأنفال : ٩ – ١٠ .   (٢) البقرة : ٢٤٩

(٣) التوبة : ٤٠ .

* القانون الثانى :

إن الله لا ينصر إلا مَنْ نصره ، فمَنْ نصر الله نصره الله ، قانون جاء بصيغة الشرط والجزاء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (١)

وجاء فى صورة الخبر الثابت المؤكد بلام القسم ونون التوكيد: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

إنما تتحقق النُصرة لله تعالى بنُصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، وتحكيم شرعه فى خلقه ، وبهذا جاء فى وصف مَنْ ينصرون الله تعالى عقب الآية السابقة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ المُنكَرِ ، وللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٣) .

وقد يُعبِّر القرآن عن نصر الله تعالى بالإيمان ، أو الجندية لله تعالى ، فمَنْ آمن بالله حق الإيمان فقد نصر الله تعالى ، وغدا جندياً فى جيشه . وفى هذا يقول سبحانه : ﴿ وكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) محمد : ٧
(٢) الحج : ٤٠.
(٣) الحج : ٤١
(٤) الروم : ٤٧

ويقول : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (١) .

* القانون الثالث :

إن النصر – كما لا يكون إلا للمؤمنين – لا يكون إلا بالمؤمنين، فالنصر لهم ، والنصر بهم ، فهم غاية النصر ، وعُدَّته ، وفى هذا يخاطب الله رسوله الكريم بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢) .

قد ينصر الله مَنْ يريد نصره بالملائكة ينزلهم من السماء إلى الأرض ، كما فى غزوة بدر والخندق وحنين : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (٣) .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤) .

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (٥) .

وقد ينصر الله مَنْ يريد نصره بالظواهر الطبيعية يُسخِّرها فى خدمته ، أو يُسلِّطها على عدوه ، كما سَلَّطَ الريح على المشركين

---

(١) الصافات : ١٧٣

(٢) الأنفال : ٦٢ – ٦٣

(٣) الأنفال : ١٢

(٤) الأحزاب : ٩

(٥) التوبة : ٢٦

فى الخندق : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً ﴾ (١) ، وكما أنزل المطر رحمة على المسلمين فى بدر : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (٢) .

وقد ينصر الله مَنْ يريد نصره بأيدى أعدائه وأعداء الله أنفسهم ، بما يقذف فى قلوبهم من رعب يدمر معنوياتهم ، ويقتل شخصياتهم ، كما حدث ليهود بنى النضير : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ من دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللّه فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (٣) .

ولكن أدوات النصر هذه كلها تتوقف على وجود « المؤمنين ».

فالملائكة التى نزلت فى بدر ، لم تنزل على فراغ ، بل قال الله لهم : ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (٤) .

---

(١) الأحزاب : ٩ ، فصلت : ١٦ — (٢) الأنفال : ١١

(٣) الحشر : ٢ — (٤) الأنفال : ١٢

وفى غزوة الأحزاب أرسل اللّه ريحه وجنوده حين ﴿ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ (١) .

وفى غزوة حنين : ﴿ أنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وفى غزوة بنى النضير كانوا : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

* * *

● حاجة الإيمان إلى رعاية وحضانة :

وإذا كان النصر لا يكون إلا للمؤمنين وبالمؤمنين ، فإن هؤلاء المؤمنين لا يهبطون من السماء ، ولكنهم ينبتون من الأرض .

وهم ليسوا نبتاً برياً ، يخرج بلا بذر ، وينمو بلا جهة ، ويثمر بلا رعاية ، بل هو نبت يحتاج إلى زُرّاع صادقين صابرين ، يتعهدونه فى مراحل نمائه بالسقى والتسميد ومقاومة الآفات ، حتى يستوى على سوقه ، ويؤتى أكله بإذن ربه .

---

(١) الأحزاب : ١١ (٢) التوبة : ٢٦
(٣) الحشر : ٢

ولا غرو أن صوّر الله سبحانه جيل الإسلام الأول من أصحاب رسوله الكريم بهذه الصورة البيانية الناطقة : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (١).

* * *

• أكبر هم المصلحين الإسلاميين :

لهذا كان أكبر هم المصلحين الإسلاميين الواعين أن ينشأ فى الأمة جيل مسلم مؤمن جديد يستحق أن يسمى « جيل النصر » هو أول ما تحتاج إليه أمتنا .

جيل يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية ، ويفهمه فهماً صحيحاً متكاملاً ، خالصاً من الحشو والشوائب ، فليس هو إسلام عصور التخلف ، الذى كدرت عقائده الخرافات وأفسدت عباداته البِدع ، وغلبت على أخلاقه السلبية ، وطغى على فقهه الجمود والتقليد والعصبية المذهبية . إنما هو الإسلام الأول ، الذى نزل به القرآن العظيم ، ودعا إليه الرسول الكريم ، وآمن به أصحابه الأطهار ، وحكم به خلفاؤه الراشدين ، وقامت على أساسه حضارة شامخة

---

(١) الفتح : ٢٩

الذرا ، موثقة العرا ، وصلت الأرض بالسماء ، وقادت الدنيا بالدين ، وجمعت بين العلم واليقين .

إنه إسلام الحق والقوة ، إسلام العلم والعمل ، إسلام الجهاد والاجتهاد ، إسلام الشمول والتوازن .

إنه الإسلام الذي يؤكد الكرامة للفرد ، والترابط فى الأسرة ، والتكافل فى المجتمع ، والشورى فى الحكم ، والتنمية للإنتاج ، والعدالة فى التوزيع ، والحقوق للجميع .

إنه الإسلام الذى يجعل حياة الفرد كلها لله ، فلا ازدواج ولا صراع ، فقد اتحدت غايته ، وتحددت وجهته ، واتضح طريقه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .. ويجعل حياة المجتمع كلها لله ، فلا يقبل قسمتها بين سلطتين متنازعتين : قسم لقيصر يسمى « الدولة » ، وقسم لله يسمى « الدين » ، فإن قيصراً وما لقيصر لله الواحد الأحد .

الإسلام الذى يدعو إلى العدل ولو كان لصالح أعدى معاديه : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ

---

(١) الأنعام : ١٦٢

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ (١) ، وينهى عن الاعتداء ولو كان على أشد شانئيه : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَىٰ ، وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ (٢) .

الإسلام الذى يقاوم إلحاد الشيوعية ، كما يقاوم طغيان الرأسمالية ، ويرفض صراع الطبقات ، كما يرفض تظالم الطوائف ويدعو إلى التدين الذى ينبت الحب ، لا إلى الطائفية التى تنفث الحقد .

الإسلام الذى يقاوم ظلم الحكّام ، وحكم الظلام . الذى يقول للحاكم : لا تظلم ، ويقول للشعب : لا تخنع . ويُعلّم المسلم أن يقول فى دعائه : « اللّهم نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك مَنْ يفجرك » .. إذ يجعل أفضل الجهاد : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

الإسلام الذى ينتصر للضعفاء حتى يأخذوا حقهم من الأقوياء ، ويقاتل الأغنياء إذ امتنعوا من أداء حق الله المعلوم للفقراء .

---

(١) المائدة : ٨

(٢) المائدة : ٢

ويحرِّض أبناءه على أن يقاتلوا ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ (١) .

هذا هو الإسلام كما يفهمه هذا الجيل المنشود ، وكما يؤمن به ، وكما يدعو إليه . وبه أبصر عقله واستنار قلبه . بهداه يبصر الهدف ، ويبصر الطريق ، يعرف نفسه ، ويعرف ربه ، يعرف دينه ، ويعرف دنياه ، يعرف تراثه ، ويعرف عصره ، يعرف صديقه ، ويعرف عدوه ، ويعرف مَنْ ينير له الطريق ، ومَنْ يريد أن يضلله عن الهدف ، وأن يلوى زمامه عن سواء السبيل .

* * *

● جيل من المسلمين والمسلمات :

جيل من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات .. .. فالنساء فى الإسلام شقائق الرجال ، والمرأة تكمل الرجل ويكملها : ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : ٧٥ (٢) آل عمران : ١٩٥

والمرأة شريكة الرجل منذ قال الله لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (١) .

وهى مُكلَّفة مثله منذ قال لهما : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (٢) .

وهى مجزية على عملها مثله : ﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ (٣) .

وقد كان للمرأة نصيبها البارز فى نُصرة الإسلام ، وتبليغ دعوته ، والتمكين له فى الأرض ، حين بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ، وهل ينسى التاريخ موقف خديجة بنت خويلد فى فجر الدعوة ؟ وموقف سمية أم عمار زوجة أول شهيد صبر على العذاب حتى الموت من أجل الإسلام ؟ أو موقف أسماء ذات النطاقين يوم الهجرة ؟ أو موقف أم عمارة ونسيبة يوم أُحد ؟ أو موقف أم سليم يوم حنين ؟ أو مواقف أمهات المؤمنين فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ؟

كانت المرأة المسلمة هى الأم التى تُحرِّض أبناءها على

---

(١) البقرة : ٣٥ (٢) البقرة : ٣٥

(٣) آل عمران : ١٩٥

الاستشهاد . والزوجة التى تدفع زوجها إلى التضحية والبذل ، والمؤمنة التى تسهم بنفسها وجهدها فى سبيل الله ، والعالمة التى تحفظ القرآن وتروى الحديث ، وتتفقه فى الدين . تدعو إلى الله على بصيرة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتُخطِّئ أمير المؤمنين على المنبر ، فهى عضو حى فى جسم المجتمع الذى وصفه الله بقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

فلا عجب أن يكون لها اليوم - كما كان لها بالأمس - دور فى دعوة الإسلام ، ومكان فى حركة التجديد . تعمل فيه مزكية لنفسها ، وداعية لبنات جنسها ، وهن نصف المجتمع أو أكثر ، أو معينة لزوجها على الدعوة إلى الله ، أو ملهمة ودافعة لأبنائها وبناتها على عمل الخير وخير العمل .

* * *

---

(١) التوبة : ٧١

• سمات هذا الجيل فى القرآن والسُنَّة :

جيل لا تخفى سماتهم وأوصافهم على مَنْ قرأ القرآن الكريم ، أو درس السُنَّة النبوية .

مَنْ قرأ كتاب الله تعالى ، وجدهم فى كثير من سوره وآياته ..

وجدهم فى سورة الأعراف ، حين يتلو قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) . فالحق غايتهم ، والحق منهاجهم ، والحق مرجعهم ، إليه يدعون ، وبنوره يهدون ، وبحكمه يعدلون .

وفى سورة المائدة حيث بشَّر الله بهم المؤمنين ، وأنذر بهم المرتدين ، وادخرهم فى آخر الزمان لمقاومة الردَّة وتثبيت الإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدونَ فى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

فهذه سماتهم وملامحهم ، إنهم مع الله بالمحبة ، ومع المؤمنين بالرحمة المعبَّر عنها بالذلة ، ومع الكافرين بالشدة المعبَّر عنها بالعزة ،

---

(١) الأعراف : ١٨١ (٢) المائدة : ٥٤

ومع الحق بالجهاد المبرأ من الغايات لأنه جهاد في سبيل اللّٰه ، ومع الناس جميعاً بالنصح الذى لا يخشى فى اللّٰه لوم اللائمين .

وفى سورة التوبة نسبتين المعالم المميزة لشخصيتهم وسيرتهم وأخلاقهم ، عن شخصية أهل النفاق وسيرتهم وأخلاقهم ، فإذا كان المنافقون متشابهين فى الولاء للباطل : ﴿ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [1] ، أى البذل فى سبيل الحق ، فهؤلاء كما وصف اللّٰه تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2] .

نجدهم فى أوائل سورة البقرة حيث ذكر اللّٰه صفات المتقين ، المهتدين بكتابه المبين ، وفى أواسطها حيث وصف أهل البر الحقيقى لا الشكلى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [3] ، وفى مطالع سورة المؤمنين حيث وصف اللّٰه ورثة الفردوس ، وفى خواتيم سورة الفرقان حيث وصف عباد الرحمن ، وفى أواسط سورة الرعد حيث وصف أولى الألباب : ﴿ الَّذِينَ

---

(١) التوبة : ٦٧ (٢) التوبة : ٧١ (٣) البقرة : ١٧٧

﴿ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (١) ، وفى آواخر سورة الحجرات حيث رد على الأعراب الذين توهموا الإيمان دعوى بلا عمل ولا عطاء : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢) .

بل مَنْ فتح المصحف وقرأ سورة الفاتحة برزت له ملامحهم ، حيث يراهم يرتقون مدارج السالكين ومنازل السائرين ، إلى مقامات : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٣) فهم أهل التوحيد حقاً ، أهل العبادة للّه وحده ، والاستعانة به وحده ، لا يعبدون غيره ولا يستعينون سواه ، عليه يتوكلون ، وإليه ينيبون .

أعظم ما يتطلعون إليه ، ويسألون اللّه إياه ، أن يهديهم « صراطه المستقيم » صراط الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طريق المغضوب عليهم ، وطريق الضالين (٤) ، فهو صراط متميز عن سبيل هؤلاء وهؤلاء ، وهم باهتدائهم « الصراط المستقيم » قد وجب عليهم مخالفة أهل الجحيم .

---

(١) الرعد : ٢٠ . (٢) الحجرات : ١٥ (٣) الفاتحة : ٥

(٤) فى الحديث : « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » .

ومَنْ طالع السُنَّة المطهَّرة وقرأ الأحاديث الشريفة رآهم بعين قلبه رؤية لا غبش فيها ، وعرفهم معرفة مفصلة ، كأن النبى ﷺ رآهم من وراء الغيب ، فحدَّث عنهم ، ونوَّه بهم ، وبشَّر بظهورهم .

رأى فيهم « الفرقة الناجية » بين الهالكينَ من الفرق الثلاث والسبعين ، لا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، ولا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، بل يكونونَ على ما كان عليه الرسولﷺ وأصحابه .

ورأى فيهم « الخَلَف العدول » الذين يحملون ميراث النبوة حمل الدعاة الوعاة ، ويحافظون عليه محافظة الأمناء الرعاة ، لا كالذين : ﴿ حُمِّلُواْ التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ (١) ، ولا كالذى آتاه الله آياته فانسلخ منها (٢) ، يبقونَ على هذا الميراث أصالته ونصاعته وتوازنه وشموله ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

رأى فيهم « إخوان رسول الله » فى الآخرين ، حيث كان أصحابه فى الأولين ، اشتاق إليهم قبل أن يوجدوا ، وتمنى أن يراهم قبل أن يولدوا ، ففى الحديث : « وددتُ لو أنى رأيتُ إخوانى » .. قالوا : أوَ لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابى ، أما إخوانى فقوم يأتون بعد » .

---

(١) الجمعة : ٥ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَوْرَاةَ .. ﴾ .
(٢) اشارة إلى الآية ١٧٥ من سورة الأعراف .

رأى فيهم « الغرباء » الذين يحبون ما أمات الناس من سُنَن النبوة ، ويُصلحون ما أفسدوه منها .. فطوبى لهم .

رأى فيهم « أعجب الخلق إيماناً » آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه ، وآمنوا بكتابه « القرآن » وعملوا بما فيه .

رأى فيهم « القابضين على دينهم » فى أيام الفتن - بين المضيعين والضائعين - وإن كان « كقبض على الجمر » العاملين به فى أيام الصبر رغم المعوقين والمخذلين ولا غرو فللعامل منهم أجر خمسين .

رأى فيهم « الطائفة القائمة على الحق » بين المبطلين ، الداعية إلى الاتباع من المبتدعين ، المستمسكة بالوَسطية بين الغلاة والمقصرين ، المهتدية إلى الصراط المستقيم بين المغضوب عليهم والضالين .

رأى فيهم الفئة المنصورة التى تتحرر على يديها فلسطين ، وتنهزم يهود ، ويكون كل الكون فى صفها ، حتى الشجر والحجر، يؤيدها ويدلها على أعدائها - بلسان الحال أو بلسان المقال - قائلاً: « يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله » (متفق عليه) .

* * *

• جيل يؤمن بالواقعية والعلمية :

جيل يتجاوز العشوائية ، ويكفر بالغوغائية ، ويحتكم إلى الحقائق لا إلى الأوهام ، ولا ينسى وهو يتطلع إلى السماء أنه واقف على الأرض ، فلا يجرى وراء خيال كاذب أو حلم فارغ ، أو أماني موهومة ، فيسبح فى غير ماء ، ويطير بغير جناح !

جيل كبير الآمال ، ولكنه واقعى التفكير ، يرنو إلى شاطئ الأحلام ، ولكنه يتوقع هياج البحر ، وغضب الموج ، ومفاجآت الأعاصير ، يعلم أن الدهر قلب ، وأن الدنيا دول ، وأن الأيام سجال ، وأن دوام الحال من المحال : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

جيل واقعى لا يسبح فى البر ، ولا يحرث فى البحر ، ولا يبذر فى الصخر ، ولا ينسج خيوطاً من الخيال ، ولا يبنى قصوراً على الرمال !

ولا ييأس من روح الله ، ولا يقنط من رحمة ربه ، ولكنه يعرف حدود قدراته ، ودائرة امكاناته ، فلا يبتغى الثمرة قبل أوانها ،

---

(١) آل عمران : ١٤٠.

ولا يستعجل الأشياء قبل إبّانها ، ولا يورط نفسه فيما لا يستطيع ، ولا يدخل نفسه فى مأزق لا يعرف الخروج منه ، متمثلاً قول الشاعر :

وأحزم الناس مَنْ لو مات من ظمأ

لا يقرب الوِرْدَ حتى يعرف الصدرا !

جيل يراعى قوانين اللّه فى كونه ، كما يراعى أحكامه فى شرعه ، يتبنى سياسة النَفَس الطويل ، والصبر الجميل . فهو يصبر على البذرة حتى تنبت ، وعلى النبتة حتى تورق ، وعلى الورقة حتى تزهر ، وعلى الزهرة حتى تثمر ، وعلى الثمرة حتى تنضج ، وتُؤتى أُكلها بإذن ربها !

جيل يؤمن بالعلم ، ويحترم العقل ، ويدين للبرهان ، ويرفض الخرافة ، ولا يتبع الظن وما تهوى الأنفس ، تَعلّم من القرآن والسُنّة أن التفكير فريضة ، وأن التأمل عبادة ، وأن طلب العلم جِهاد ، وأن الجمود على القديم لمجرد قِدمه جهل وضلال ، وأن الاتباع الأعمى للآباء والكبراء فساد وخبال ، فهو لهذا يفكر قبل أن يحكم ، ويتعلم قبل أن يعمل ، ويستدل قبل أن يعتقد ، ويخطط قبل أن ينفذ ، ولا يقبل حكماً بلا بيِّنة ، ولا دعوى بلا

to: www.al-mostafa.com

برهان . قد وضع نُصب عينيه قول الله تعالى : ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ ؟ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) .

* * *

● جيل عمل وبناء جماعي :

جيل لا يقف جهده عند التغني بأمجاد الماضي ، ولا عند النواح على هزائم الحاضر ، ولا عند التمني لانتصارات المستقبل .. إنما يؤمنون بأن المجد بالعطاء لا بالمفاخرة ، وبالانتاج لا بالثرثرة ، وأن الفتى مَنْ يقول : ها أنا ذا ، وليس الفتى مَنْ يقول : كان أبى .. وأن الانتصار على مآسى اليوم ، وتحقيق آمال الغد ، إنما يتحقق بالجد لا بالهزل ، وبالبناء لا بالهدم ، وبالعمل الهادى لا بالصراخ المدوى ، وأن الإيمان الحق ما وَقر فى القلب وصدَّقه العمل . وما خلق الله الناس إلا ليعملوا ،

---

(١) الأنعام : ١٤٣ (٢) الأنعام : ١٤٨

(٣) البقرة : ١١١ ، والنمل : ٦٤ .

بل ما خلقهم إلا : ﴿ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (١) . ولهذا يعتبرون العملَ فريضة ، وإحسانه عبادة ، والتعاون عليه جهاداً ، موقنين بأن اللّه لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً ، ولا يظلم مثقال ذَرَّة، وسيرى اللّه عملهم ورسوله والمؤمنون .

جيل يؤمن بأن العمل الجَماعى لنُصرة الإسلام واستعادة سلطانه ، فريضة وضرورة ، فريضة يوجبها الدين ، وضرورة يحتمها الواقع ، وأن إصلاح الفرد - وإن كان هو الأساس- لا يتم إلا فى ظل جماعة يعيش فى كنفها .

تعلّموا من كتاب ربهم أن اللّه يخاطبهم بالتكاليف بصيغة الجماعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا ﴾ حتى يشعروا أنهم متكافئون فى تنفيذ ما أمر اللّه تعالى ، والانتهاء عما نهى عنه ، كما تعلّموا منه أنهم يناجون ربهم إذا قرأوا الفاتحة فى كل صلاة بصيغة الجماعة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) فهو يتكلم باسم الجماعة ، وإن كان وحده خالياً حتى تظل الجماعة حيّة فى ضميره ، مذكورة على

---

(١) الكهف : ٧ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

(٢) الفاتحة : ٥ - ٦

لسانه ، وبذلك تذوب فرديته فى سبيل أمته وتختفى « أنا » لتبرز مكانها « نحن ».

وتعلّموا كذلك من كتاب ربهم أن يعتصموا بحبل اللّه جميعاً و لا يتفرقوا ، وأن يتعاونوا على البرِّ والتقوى ، وأن يتواصوا بالحق والصبر ، وألا يختلفوا كما اختلف الذين من قبلهم فيهلكوا كما هلكوا ، ولا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم .

أجل .. علّمهم دينهم ، وعلّمهم تاريخهم ، وعلّمهم واقعهم ، أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده ، قوى بجماعته ، وأن اليد وحدها لا تصفق ، وأن صيحة الفرد وحده لا تُسْمِع ، وأن يد اللّه مع الجماعة ، وأن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية ، وأن اتحاد العدد القليل يقويهم ويعوضهم بقوة الوحدة عن ضعف القلّة ، وأن اختلاف العدد الكثير يضعفهم ، فلا تغنى عنهم كثرتهم شيئاً. وأن الأهداف الكبرى التى يريدون من الأمة تحقيقها من التحرر والوحدة والنهوض والنماء ، وتحكيم الإسلام فى الداخل ، وتبليغه فى الخارج ، لا يمكن أن تتم إلا بجهود جَماعية بنَّاءة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وقد علموا من قراءة الواقع : أن أهل الباطل يتكتلون حول

باطلهم فأولى بأهل الحق أن يتجمعوا على حقهم ، وأن مَنْ فرقتهم أيام الرخاء ، أهل لأن يجتمعوا في ساعة الشدة : « إنَّ المصائب يجمعن المصابينا » وأن المعارك الكبرى توحد المختلفين أمام العدو المشترك : ﴿ إنَّ اللَّه يُحبُّ الَّذينَ يُقَاتلُونَ في سَبيله صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[(١)] .

إن اللَّبنات المتناثرة - مهما يكن عددها - ومهما تكن متانة كل واحدة منها - لا يكون منها بناء ينتفع به الناس . إن نفعها مرهون بتجمعها وتماسكها بصورة منتظمة ، وفقاً لتصميم معلوم ، ونظام مرسوم .

لهذا صمموا على أن يبحثوا عن أشباههم ممن ينشدون الحق ويرفضون الباطل ويدعون إلى الخير ، وينكرون الشر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ليضعوا أيديهم في أيديهم ، ويضموا جهدهم إلى جهدهم ، لتتكون من اللبنات المتناثرة جدار متين ، ومن الجدران المتعددة دار شامخة ، ومن الدور المتنوعة مدينة عامرة ، فمضوا في طريق العمل الجماعي ، يعملون في صمت ، يعيشون متواصلين بالحق والصبر ، متواصلين في العُسر واليُسر ، ويبنون في صبر ، ويجاهدون بلا كلل ولا ملل ،

---

(١) الصف : ٤

وعزموا على أن يكونوا متعاونين على البرِّ والتقوى ، متكاتفين فى السرَّاء والضرَّاء . فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

* * *

● جيل ربانية وإخلاص :

جيل من « الربانيين » الذين يعيشون فى الدنيا بقلوب أهل الآخرة ، ويعيشون فوق الأرض وقلوبهم تهفو إلى عرش الله ، حيث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وقد وصلوا بحبل الله عراهم ، وأضاءوا بنوره خطاهم ، وعمروا بحبه قلوبهم ، ورطبوا بذكره ألسنتهم ، وشغلوا بطاعته جوارحهم.. فهم بالله ولله ، ومن الله وإلى الله . بالله اعتصامهم ، ولله قيامهم ، ومن الله استمدادهم ، وإلى الله فرارهم ، وعلى ضوء كتابه حركتهم وسكونهم ، يحبون فى الله ، ويبغضون فى الله ، ويصلون فى الله ، ويقطعون فى الله ، ويعطون لله ، ويمنعون لله ، ويسالمون لله ، ويحاربون لله ، فالله مبدؤهم ، والله غايتهم : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ﴾ (١). ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ (٢) .

---

(١) الحديد : ٣ (٢) النجم : ٤٢

أبرز ما يميزهم عن غيرهم أنهم « مخلصون » . قد أخلصوا دينهم لله ، كما أخلصهم الله لدينه . قد أيقنوا أن الدنيا خُلقَت لهم ، أما هم فخلقوا لله وحده . فلا غرو أن وضعوا نصب أعينهم قول ربهم : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (١) .

فإذا اختلفت غايات الناس في الحياة الدنيا ، ما بين منهوم بالمال ، ومشغوف بالشهرة ، ومغرم بالسطوة ، ومفتون بالمرأة ، ومتيم بالكأس ، ومتطلع إلى الملك . فإنهم لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، ولا يبغون جاهاً ولا مالا ، ولا يجرون خلف شهوة أو شهرة ، يدعون ربهم ألا يجعل الدنيا أكبر همهم ، ولا مبلغ علمهم . فإذا جاءتهم الدنيا جعلوها في أيديهم ، ولم يدخلوها في قلوبهم ، واتخذوها طريقاً ، ولم يتخذوها غاية . إنما همهم الآخرة ، وغايتهم رضوان الله ، فكل ما دون الله والجنّة سراب ، وكل ما فوق التراب تراب !

خالطت قلوبهم بشاشة التوحيد ، فلا يبغون غير الله رباً ، ولا يبتغون غير الله حَكَماً ، ولا يتخذون غير الله ولياً ، قد حطموا من حياتهم كل الأوثان ، وبرئوا من كل الآلهة المزيفين ، فلم تعد تركع

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

ظهورهم لغير عبادة اللّه ، كما لا تركع عقولهم وقلوبهم لغير كلمة اللّه . فهموا معنى مناجاتهم لربهم : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) فلم يعودوا يعبدون إلا اللّه ، ولا يستعينون أحداً سواه . تحرروا من عبادة أنفسهم وأهوائهم ، وشر إله عبد فى الأرض الهوى . كما تحرروا من عبادة كل شئ دون اللّه ، أو مع اللّه .

لا يعبدون الأصنام ، ولا يعبدون الأوهام ، ولا يعبدون الأهواء ، ولا يعبدون الأشخاص ، ولا يعبدون الطبيعة ، ولا يعبدون الطاغوت أياً كان اسمه وعنوانه وصورته . فقد وعوا عن رسل اللّه نداءهم للبَشر : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢) . قد تبيَّن لهم الرُشد من الغَىِّ ، فكفروا بالطاغوت ، وآمنوا باللّه ، فاستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

* * *

● جيل نسبه الإسلام :

مَنْ سأل عن جنسيتهم أو نسبهم أو هويتهم فهم « مسلمون » . لا بالاسم واللقب ، ولا بحكم الوراثة أو البيئة ، بل بالدراسة

---

(١) الفاتحة : ٥ (٢) النحل : ٣٦

والبرهان ، والتذوق والتخلق ، فهم يؤمنون بالإسلام عن بيِّنة ، ويرفضون الجاهلية عن دراية ، ويدعون إلى الله على بصيرة ، ويكفرون بالطاغوت على علم . لا يبتغون غير الإسلام ديناً ، ولا يرضون بغير شريعته منهاجاً ، ولا يقبلون غير كتابه دستوراً . وكيف لا يرضونه وقد رضيه الله لهم ، وأتم به النعمة عليهم : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (١) .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٣) ، وإذا دعوا إلى تحكيم الطاغوت - وكل ما عدا الله ورسوله طاغوت - قالوا : أبينا وعصينا .

يرفضون التبعية للغرب وللشرق جميعاً ، فنورهم مقتبس من شجرة مباركة : ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ

---

(١) المائدة : ٣ (٢) آل عمران : ٨٥

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٥١) .

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ (١) ، لا يقبلون ظلم الرأسمالية ولا ظلام الشيوعية ، ولا ينتمون إلى يمين أو يسار ، فمكانهم دائماً فى المركز ، وموقفهم هو الوسَط بين الأطراف المتباينة ، لا يعملون لحساب فرد أو طبقة أو حزب أو نظام . إنما عملهم للإسلام ، وللإسلام وحده ، وولاؤهم لأمة الإسلام كلها ، ولها وحدها دون غيرها . فهم منها وإليها ، وبها ولها : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (٢) .

لا ينتسبون إلا للرحمن ، ولا يعتزون إلا بالإيمان ، ولا يعتصبون إلا للقرآن ، ولا يفخرون إلا بالإسلام . شعارهم قول القائل :

أبى الإسلام ، لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم !

* * *

● جيل دعوة وجهاد :

جيل دعوة وجهاد ، كما كان الصحابة من المهاجرين والأنصار ، إنهم من نورهم يقتبسون ، وعلى هداهم يسيرون . جاهدوا فى ذات

---

(١) النور : ٣٥ (٢) المائدة : ٥٦

اللّه أنفسهم ، كما جاهدوا عدو اللّه وعدوهم . لا يشغلهم جهاد عن جهاد ، ولا ميدان عن ميدان ، فهم فى معركة دائمة مع العدو الباطن والعدو الظاهر ، وهم فى صراع متواصل مع الفَجَرة فى الداخل ، والكَفَرة فى الخارج ، لا يلقون السلاح ، ولا يستريحون من كفاح ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، أرض اللّه كلها ميدانهم ، ودار الإسلام كلها وطنهم ، قد ترى أحدهم - وهو العربى - يقاوم الزحفْ الشيوعى الأحمر فى أفغانستان ، وترى آخر - وهو باكستانى - يقاتل الزحف اليهودى الأسود فى فلسطين أو فى لبنان . فالكفر كله ملة واحدة : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١) .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢) .

يجاهدون فى سبيل اللّه فى كل معركة تطلبهم ، وبكل سلاح يمكنهم ، قد يكون باليد إذا كان لا بد من اليد تحمل المدفع . وقد يكون بالمال إذا احتاج الجهاد إلى المال . وما أحوج الجهاد إلى المال ! : « ومَنْ جَهَّز غازياً فى سبيل اللّه فقد غزا » . ﴿ وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ ﴾ (٣) ،

---

(١) الأنفال : ٧٣ (٢) التوبة : ٧١

(٣) التوبة : ٤١

وقد يكون باللسان إذا كان لا بد من كَلمةَ الحق يصدع بها فى وجه الباطل ، تصل إلى الناس مقروءة أو مسموعة . فإذا عجزوا عن الجهاد بالسنان ، لم يعجزوا عن الجهاد بالقرآن ، وهو الجهاد الكبير ـ كما سمّاه الله فى كتابه ﴿ فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ (أى بالقرآن) جِهَاداً كَبِيراً ﴾ (١) .

عَزَّ عليهم دينهم ، فهانت فى سبيله دنياهم ، وغلت عندهم عقيدتهم ، فرخصت من أجلها أنفسهم وأموالهم . ومَنْ عرف قيمة ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل ، ومَنْ يخطب الحسناء لم يغلها المهر ! اشترى اللّه منهم وباعوا ، وتمت الصفقة بينهم وبين ربهم فما ندموا ولا استقالوا .. أغلى لهم الثمن من فضله فرضوا ، وبذلوا له من ملكه فرضى . وكيف لا وقد اشترى منهم أنفساً هو خالقها ، وأموالاً هو رازقها ؟ ! ثم قال : خذوا ثمنها جَنَّة عرضها السمٰوات والأرض ! وصدق اللّه العظيم إذ يقول : ﴿ إنَّ اللّه اشْتَرَىٰ مِنَ المُؤْمنينَ أنفُسَهُمْ وأمْوَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلَ اللّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْه حَقّاً فى التَّوْرَاة وَالإنجِيل وَالقُرْآن ، وَمَنْ أوْفَىٰ بعَهْده منَ اللّه ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٢) .

---

(١) الفرقان : ٥٢ (٢) التوبة : ١١١

ويقول رسوله الكريم : « مَنْ خاف أدلج ، ومَنْ أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة اللّه غالية ، ألا إن سلعة اللّه الجنة » .

فأكرم بهم من تجار يرجون تجارة لن تبور ، تجارتهم الإيمان والجهاد ، وأسواقهم المحاريب والميادين ، ورأس مالهم الأيام والأعمار ، وربحهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار !

كلما رأوا الجاهلية تشمخ بأنف سلطان ، أو تطل برأس شيطان ، غلت صدورهم غيرة على حرمات اللّه ، كما يغلى المرجل فوق النار ، بل ذابت قلوبهم حسرة ، كما يذوب الملح فى الماء ، فليس شئ أشد على المؤمن من أن يتقهقر الحق ليتقدم الباطل ، وأن تختفى كلمة اللّه لتظهر كلمة الطاغوت !

إن غيرهم يعيش خالياً من الهموم ، إلا هم نفسه وأهله ، أما هم فيمسون ويصبحون وهم يحملون هم أمة الإسلام كلها من المحيط إلى المحيط ، تعصرهم مشاعر الأسى عليها عصراً ، ويكوى قلوبهم الحزن كياً على مصيرها .

أول ما يفكر فيه أحدهم دينه ، وآخر ما يفكر فيه دنياه ، كلهم يقول : أمتى ، ليس فيهم مَنْ يقول : نفسى نفسى . أعظم ما يشغلهم رد الشاردين عن اللّه ليعودوا إليه تائبين ، ودعوة

الضالين عن منهج الإسلام ليرجعوا إليه مهتدين ، ومقاومة المغيرين على أمة القرآن ليرتدوا عنها مخذولين مدحورين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

* * *

● غرباء .. ولكن يعايشون الناس :

. بهذا الروح المتدفق ، وبهذا الاتجاه المتميز ، وبهذا الجهاد المتواصل ، عاشوا غرباء ، وإن كانوا فى أوطانهم ، وبين أهليهم وأقربائهم . إنها ليست غُربة وطن ، ولا وجه ولا يد ولا لسان ، ولكنها غُربة فكر وروح واتجاه . فهم يعيشون فى القرن الخامس عشر بأجسامهم ، ويعيشون فى القرن الأول بأفكارهم ومشاعرهم ، ينظرون إلى معاصريهم ومواطنيهم بأبصارهم ، ويرنون إلى الصحابة ببصائرهم . فيحسون بالغُربة ، ويأنسون بها و « طوبى للغُرباء » .

وهذه الغُربة لا تجعلهم ينطوون على أنفسهم يائسين ، أو يفرون إلى صوامع العزلة والتعبد الفردى مستسلمين . كما فعل الرهبان فى النصرانية ، والحنفاء فى الجاهلية . فرهبانيتهم هى الجهاد ، وحنيفيتهم هى الدعوة إلى مِلّة إبراهيم ، ولهذا يظلون فى الميدان

---

(١) فصلت : ٣٣

صامدين ، وعلى البلاء صابرين ، وفى الطريق سائرين ، يزيدون إذا نقص الناس ، ويصلحون إذا فسد الناس ، ويصلحون ما أفسد الناس .

إنهم جيل يُجَسِّد الصَحوة ، ويمثل الصفوة ، ويجسم القدوة ، ويضرب المثل ، ويتقدم الصفوف ساعة النداء ، ويتأخر عند تقسيم المغانم ، ولكنه – مع تميزه بالوعى وتقدمه بالبذل ، وتفوقه بالعطاء – لا يعيش فى برج عاجى ، بعيداً عن الناس مزهواً بنفسه ، مستعلياً على غيره ، بل يتفاعل مع الشعب ، ويعايش الجماهير المسلمة فى مواقعها ، يحمل همومها ، ويعاونها فى حل مشكلاتها ، ويشاركها مسرَّاتها وأحزانها ، ويُعبِّر عن آلامها وآمالها ، ليس ذلك صدقة منه عليها ، فهى جزء منه وهو جزء منها ، لا تنفصل عنه ولا ينفصل بحال عنها ، فلا يتصور أن يتعالى عليها ، أو يكفر بها – بله أن يكفرها – بل هو حريص عليها ، رؤوف بها ، يؤازر عاملها ، ويُعلِّم جاهلها ، ويُنبِّه غافلها ، ويُذكِّر ناسيها ، ويدعو شاردها ، ويعالج مريضها ، ويقوى ضعيفها ، فهو أب للصغير ، وابن للكبير ، وأخ للنظير ، وداعية للجماهير ، لا يمل من دعوتها ، ولا يقنط من عودتها . فهى الحليف الطبيعى ، والرصيد التاريخى لكل حركة إسلامية ، وكل دعوة إيمانية .

* * *

● جيل قوة وعزة :

وهم – مع غربتهم فى قومهم وعصرهم – « أقوياء أعزاء » لم يوحشهم قلة السالكين ، ولم يوهنهم كثرة الهالكين ، فى أنوفهم شمم ، وفى قلوبهم إباء ، وفى نفوسهم ترفع واعتداد ، كأنهم الجبال شموخاً ورسواً ، أو النجوم سناءً وعلواً ، يموت أحدهم جوعاً ولا يمد يده مستجدياً ، ويُقتل صبراً ولا يحنى رأسه متذللاً ، ينظرون إلى أصحاب المال والسلطان نظرة الأطباء إلى المرضى والمسلولين ، لا يرهبونهم ولا يعظمونهم ، بل يشفقون عليهم مما يحملون على ظهورهم من أثقال ، وفى صدورهم من أسقام ، وينظرون إلى الذهب المكنوز فى خزائنهم نظرة مَنْ يعلم أنها صفائح ﴿ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (١) .

قوتهم من قوة الحق الذى يدعون إليه ، وعزتهم من عزة الله الذى يؤمنون به : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ (٢) .. فهم ينظرون بنور الله ، وينطقون بلسان النبوَّة ، ويضربون بيد القَدَر ، لا يغريهم وعد ، ولا يثنيهم وعيد ، فهم من معدن لا تذيبه النار ، ولا يفله الحديد .

---

(١) التوبة : ٣٥ (٢) فاطر : ١٠ .

اهتدوا بالله فلم يضلوا ، واعتزوا بدينه فلم يذلوا ، وانتصروا بقوته فلم يُغلَبوا ، واستغنوا بغناه فلم يفتقروا . نشيد أحدهم :

أنا إن عشت لستُ أعدم قوتاً وإذا مت لستُ أعـدم قبرا !

همتي هِمَّة الملوك ونفسي نفس حـــر ترى المذلة كفرا !

وإذا ما قنعتُ بالقوت عمري فلماذا أهاب زيداً وعمرا ؟!

جيل تنزل به المحن فلا تهزم إصراره ، ولا تخمد ناره ، ولا تطفئ نوره ، ولا تغلب صبره ، ولا تحطم عزمه ، ولا تفقده أمله ، بل يجعل منها فرصة لتطهير النفس ، وتمييز الصف ، ومراجعة الحساب ، والاستعداد للغد ، لا يهن ولا يضعف ولا يستكين ، وأسوته في ذلك أولئك الربانيون الذين نوَّه الله بهم في كتابه : ﴿ وكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨

وبذلك يغلب المحن ولا تغلبه ، ويقهر الشدائد ولا تقهره ، ويخرج منها أطهر وأزكى ، وأصفى وأنقى ، كما جاء فى الحديث : « مَثَلُ المؤمن تصيبه المصيبة كمثل الحديدة تدخل النار ، فيذهب خَبَثها ويبقى طيبها » .

إن الذى يذل أعناق الرجال ، ويجعلهم أمام الجبابرة ضعفاء مهازيل ، أمران : الخوف ، والطمع ، وهؤلاء قد سدُّوا منافذ الخوف فى قلوبهم ، فلم يعودوا يخافون إلا الواحد القهار ويوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . كما أغلقوا أبواب الطمع فى نفوسهم فلم يبق لهم طمع إلا فى مغفرة من ربهم ، وجنَّة عرضها السموات والأرض ، لا يخافون على الأجل فهو محدود محتوم ، ولا على الرزق فهو مقدَّر مقسوم .

لا يستطيع متكبر جبار أن يذل نفوسهم ، أو ينكس رؤوسهم ، وإن صب عليهم سياط العذاب ، وأذاقهم العلقم والصباب ، فهو إنما يملك ظواهرهم ، ولا يملك بواطنهم ، يملك الجسم ، ولا يملك القلب ، يملك المحارة ولا يملك اللؤلؤة !

قد يستطيع أن يحبس أبدانهم عن الحركة ، ولا يستطيع أن يحبس أرواحهم عن الانطلاق .. فإذا تحدَّاهم فرعون من الفراعنة أن يقتلهم أو يصلبهم قالوا له ما قال السحرة حين

آمنوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أنتَ قَاضٍ ، إنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [1] .

وماذا يملك العدو الجبار لهم ، وهم يدخلون المحن كما يدخل الذهب الأصيل النار ، لا تزيدهم المحن إلا نقاءً وإيماناً ، كما لا تزيد النار الذهب إلا صفاءً ولمعاناً ؟!

وماذا يملك الطاغية لمؤمن يستعذب العذاب من أجل عقيدته ، ويستمرئ المر فى نُصرة دعوته ؟! يسمى النفى هجرة إلى الله ، والسجن خلوة لطاعة الله ، والقتل شهادة فى سبيل الله !!

* * *

● جيل توازن واعتدال :

وهم - مع صلابتهم وقوتهم وجهادهم وغيرتهم - متوازنون معتدلون ، على صراط مستقيم . لا يميلون إلى اليمين ، ولا ينحرفون إلى الشمال ، لا يَغْرَقون فى الماديات ، ولا يُغْرِقون فى الروحانيات [2] ، يعلمون أن لربهم عليهم حقاً ، وأن لأنفسهم عليهم حقاً ، ولأسرهم عليهم حقاً ، ولمجتمعهم عليهم حقاً ، فهم يعطون كل ذى حق حقه ، غير جانحين إلى الإفراط ، ولا مائلين

---

(١) طه : ٧٢

(٢) يغرقون - الأولى بفتح الياء والراء ، والثانية بضم الياء وكسر الراء .

إلى التفريط ، لا يطغون فى الميزان ولا يخسرون ، بل يقيمون الوزن بالقسط ولا يخسرون الميزان .

يأخذون بالعزائم ، ولا يغفلون الرُخَص ، فإن اللّه يحب أن تؤتى رُخَصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه . يُبَشِّرون ولا يُنَفِّرون ، ويُيَسِّرون ولا يُعَسِّرون ، فقد علّمهم القرآن أن اللّه يريد بعباده اليُسر ، ولا يريد بهم العُسر ، وما جعل عليهم فى الدين من حَرَج . يدعون إلى رسالتهم بالرفق لا بالعنف ، وبالحكمة لا بالحماقة ، ويجادلون بالتى هى أحسن ، قد وضعوا نُصب أعينهم قول ربهم : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

ينظرون إلى العُصاة كما ينظر الطبيب إلى المرضى ، لا كما ينظر الشرطى إلى اللصوص . لا يتهمون عاصياً بالكفر ، مخافة أن يرتد عليهم . ولا يقولون : هلك الناس ، متهمين غيرهم ، ومبرئين أنفسهم ، ففى الحديث : « مَنْ قال : هلك الناس ، فهو أهلكهم »(٢).

غيورون على دينهم ، متسامحون مع مخالفيهم ، مؤمنون بفكرتهم فى غير تعصب ، معتدُّون برأيهم فى غير عناد ، فإذا كان

(١) النحل : ١٢٥ (٢) رواه مسلم

رأيهم صواباً يحتمل الخطأ ، فرأى غيرهم خطأ يحتمل الصواب . ومَنْ يدرى لعل رأيهم هو الخطأ بعينه ، وحسبهم أنهم مجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطأوا .

يُفرِّقون بين الأصول والفروع ، فهم فى الأولى فى صلابة الحديد ، وفى الثانية فى ليونة الحرير ، ويميِّزون بين مراتب الأعمال وأحكامها ، مأمورات كانت أو منهيات ، فلكل عمل مرتبته ، ولكل مرتبة حكمها ، فالمفروض غير المندوب ، والمحرَّم غير المكروه ، والكبائر غير الصغائر ، والمتفق على وجوبه أو حُرمته ، غير المختلف فيه ، وما ثبت بدليل قطعى غير ما ثبت بدليل ظنى ، وهم فى هذا لا يتعالمون ولا يدَّعون ، بل يسألون أهل الذكر ، ويرجعون إلى أهل الاختصاص ، فلكل علم أهله ، ولكل فن خبراؤه ، كما نطقت بذلك آيات القرآن : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (١) ، ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (٢) ، ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

لهذا لا تشغلهم الجزئيات عن الكليات ، ولا تلهيهم المسائل الجانبية عن القضايا المصيرية ، ولا يدعون أوقاتهم وجهودهم

---

(١) فاطر : ١٤ (٢) الفرقان : ٥٩ (٣) النحل : ٤٣ ، والأنبياء : ٧

يأكلها الجدل فى الخلافيات ، والمراء فى الأغاليط ، والسؤال عن دم البعوض ، ودم الحسين مهراق ! اشتغلوا بالعمل عن الجدل ، وبالبناء عن الهدم ، وبالجمع عن التفريق ، وجعلوا شعارهم : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

وازنوا بين دنياهم وآخرتهم ، فأعطوا لكل منهما حقها ، فلم يهربوا من الدنيا هرب أهل الصوامع والعُزلة ، ولم يتكالبوا عليها تكالب أهل الشُح والغفلة .

لا يقولون ما قال الجاهلون : « ربنا آتنا فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق » [١] بل يقولون ما قاله المؤمنون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢] . ويدعون لأنفسهم بما دعا به رسول الله ﷺ لنفسه : « اللَّهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى » [٣] .

لا يهملون الجسم من أجل تصفية الروح ولا يغفلون الروح من أجل متاع الجسم . يمزجون بين الروح والمادة ، ويربطون بين الدنيا والآخرة ، ويجمعون بين العلم والإيمان ، بين الواقعية والمثالية ، بين

---

(١) البقرة : ٢٠٠ ، فى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ .

(٢) البقرة : ٢٠١ .

(٣) رواه مسلم .

العقل الذكى والقلب النقى ، بين الثبات على الغايات ، والتطور فى الأساليب ، بين أداء الواجبات وطلب الحقوق ، بين الحرص على القديم والاستفادة من الجديد ، لا ينقطعون عن الماضى ، ولا ينعزلون عن الحاضر ، ولا يُفرِّطون فى قديم نافع ، ولا يضيقون بجديد صالح .

يطالبون أنفسهم بالواجبات التى عليهم ، قبل أن يطالبوا غيرهم بالحقوق التى لهم ، فجل ما يشغلهم : « ماذا علىَّ » ؟ ، وليس : « ماذا لى » ؟

نهارهم نهار العاملين ، وليلهم ليل القانتين ، تراهم بالنهار فرساناً وتحسبهم بالليل رهباناً ، كما وُصِفَ أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان ، لا يطغى عمل النهار على عمل الليل ، ولا عمل الليل على عمل النهار ، لا تلهيهم نافلة عن فريضة . ولا فرض عن فرض مثله أو أهم منه .

يتمتعون بالحلال من زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ضاربين فى الأرض مبتغين من فضل الله ، ولكن أحدهم يبيت طاوياً بطنه على الطوى ، ولا تمتد يده ولا عينه ولا أمنيته إلى حرام ، فهم أعقل من أن يشتروا النار بلقمة أو شهوة ، وأوعى من أن يبيعوا الجنة بجناح بعوضة .

* * *

• أوّابون توّابون :

وهم بعد ذلك كله « أوّابون توّابون » .. إنهم يحذرون على أنفسهم من معصية الله ، أكثر مما يحذرون من أعداء الله وأعدائهم، فهم يسألون الله دائماً أن يكفيهم بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وهم يخافون من معاصى القلوب أكثر مما يخافون من معاصى الجوارح ، فمعاصى القلوب أشد خطراً وأفتك أثراً : من الاستعلاء والكِبْر ، أو الغرور والعُجب ، أو الرياء وحب الظهور ، أو سوء الظن بالناس ، أو الحسد والبغضاء ، أو غير ذلك مما حذّر منه القرآن والحديث ، وسماه الإمام الغزالى «المهلكات » التى يذهب معها فضل الصيام ، وثواب القيام ، فهى تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب !

وحسبهم أن يقرأوا فى ذلك : « لا يدخل الجنة مَنْ كان فى قلبه مثقال ذَرّةٍ من كِبْر » (١) ، « ثلاث مهلكات : شُحٌّ مطاع ، وهوًى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » . « إن اليسير من الرياء شِرك » . « دُبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة .. لا أقول : تحلق الشَعر ، ولكن تحلق الدين » .

---

(١) رواه مسلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

هذا هو موقفهم من المعاصى ، إنهم يخافونها ، وينأون بأنفسهم عن الأبواب التى توصل إليها ، والمسالك التى تُقرِّب منها ، سداً للذريعة ، وبُعداً عن الفتنة ، واتقاءً للشُبهة ، ومَنِ اتقى الشُبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه .

ومع هذا هم بَشر من ذُرِّية آدم الذى قال الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٢) .

ليسوا ملائكة مطهَّرين ، ولا أنبياء معصومين . إنهم - ككل بنى آدم - خطّاءون ، ولكنهم سرعان ما يفلتون من جاذبية التراب ، ويعودون إلى الله تائبين مستغفرين . شأن أهل التقوى : ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٣) . تذكروا عهد الله إليهم : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) .. تذكروا نعمة الله عليهم وميثاقه الذى واثقهم به إذا قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٥) .. تذكروا عهد الله بالأمس،

---

(١) الحجرات : ١٢ (٢) طه : ١١٥ (٣) الأعراف : ٢٠١

(٤) يس : ٦٠ - ٦١ (٥) النور : ٥١

ورقابته اليوم ، وحسابه في الغد ، فأبصروا ما كان خافياً عليهم ، أبصروا الغاية وأبصروا الطريق .

فإذا غلب ثقل الطين فيهم يوماً على شفافية الروح ، وانهزم باعث الدين أمام باعث الهوى ، لم يستسلموا للشيطان وجنوده ، بل قالوا ما قال أبوهم آدم وأمهم حواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

هذه مزيتهم : أنهم : ﴿ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . ينظرون إلى ما ينزل عليهم دائماً من نِعَمٍ للّه لا تتناهى ، وهو الغنى عنهم ، وما يصعد إليه سبحانه مِن أعمالهم الناقصة أو المخالفة وهم الفقراء إليه ، فيشعرون بالتقصير في حقه ، ويحسون بالتفريط في جنبه ، فينادون بما نادى به ذو النون ربه في الظلمات : ﴿ أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .. فهم دائماً تائبون ، وأبداً مستغفرون . يدعون بما دعا به أُولوا

---

(١) الأعراف : ٢٣
(٢) آل عمران : ١٣٥
(٣) الأنبياء : ٨٧

الألباب : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ (١) .

* * *

● ذلكم هو الجيل المنشود :

هذا هو الجيل الذى ننشده ، وتنشده معنا الأمة كلها من جاكرتا إلى رباط الفتح ، وهو الذى نسعى جاهدين لتكوينه ، ونذيب حبّات قلوبنا من أجله .

وهو الذى تعمل القُوَى العالَمية والمحلية المعادية للإسلام على إجهاضه قبل أن يولد ، وعلى وأده بعد أن يوجد . فإن أعياها هذا أو ذاك ، فلتحاول تضليله عن الهدف الحقيقى بأهداف موهومة ، وشغله عن معركته الكبرى بمعارك جانبية تافهة ، وتعويقه عن السير بصدامات تفتعلها على الطريق ، وإلهائه عن ضرب العدو بضرب بعضهم ببعض ، وإغراقه فى دوامة من الجدل لا يخرج منها .. إلى غير ذلك من أسباب الفتنة وأساليب الكيد ، وهو عنها غافل .

---

(١) آل عمران : ١٩٣

هذا الجيل وتكوينه يجب أن يكون الشغل الأول للحركات الإسلامية المعاصرة ، كما يجب على الدعاة والمفكرين والفقهاء والمربين أن يتعاونوا على حسن إعداده وتربيته تربية متكاملة : روحياً وجسمياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً ، ويعملوا على حمايته من نفسه أولاً حتى لا يتآكل من الداخل . ثم حمايته من كيد الأعداء ، وجهل الأصدقاء .

إنه الجيل الذى ادخره الله ليحمل روح أبى بكر فى مقاومة الردة وحرب المرتدين ، ووصفه الله بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتى اللَّهُ بِقَوم يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ أَذلَة عَلَى الْمُؤْمنينَ أَعزَّة عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهدُونَ فى سَبيلِ اللَّه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئم ، ذَلكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتيه مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسعٌ عَليمٌ ﴾ (١) .

إن هذا الجيل المنشود هو جيل النصر . هو الذى تتحرر على يديه فلسطين وأفغانستان وأريتريا والفيلبين وبخارى وسمرقند ، وكل أرض دنَّسها الطواغيت والفُجَّار .

هو الجيل الذى ترتفع به راية الله فى أرض الله ، ويسود به دين الخالق دنيا الخلق ، وتشرق به أنوار السماء على ظلمات الأرض .

---

(١) المائدة : ٥٤

هذا الجيل هو الجدير بأن يتنزل عليه نصر الله ، وأن تسير فى ركبه الملائكة ، وأن يكون كل شئ فى الوجود مسخَّراً لنُصرته ، حتى يقول له الحَجَر والشَجَر : « يا عبد الله .. يا مسلم .. هذا عدوك خلفى ، فتعال فاقتله » !

والنداء اليوم موجَّه إلى أبناء الإسلام وبناته أن يتجاوزوا مرحلة الوَهن والغُثاء ، إلى مرحلة القوة والبناء ، ويلحقوا بركب الجيل الربانى المنشود ، وقد بدت بفضل الله بشائره ، وظهرت فى كل ديار الإسلام طلائعه . ولم تضع جهود المصلحين الصادقين هباء : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

أما مَنْ رَضِىَ لنفسه أن يقعد مع القاعدين ، أو يلهو مع الغافلين ، أو يسير فى رِكاب المبطلين ، فحسبه أنه خسر نفسه وربحه الشيطان . وأسخط ربه وأرضى عدوه ، وضيَّع على نفسه أعظم تجارة فى الدنيا والآخرة .

على نفسه فليبك مَنْ ضاع عمره   وليس له منها نصيب ولا سهم !

* * *

---

(١) البقرة : ١٤٣

محتويات الكتاب

الصفحة

جيل النصر المنشود	٣
روح أمتنا الإسلام	٥
بعض مشكلاتنا الكبرى	٧
قوانين النصر	٩
حاجة الإيمان إلى رعاية وحضانة	١٤
أكبر هم المصلحين الإسلاميين	١٥
جيل من المسلمين والمسلمات	١٨
سمات هذا الجيل فى القرآن والسُنَّة	٢١
جيل يؤمن بالواقعة والعلمية	٢٦
جيل عمل وبناء جَماعى	٢٨
جيل ربانية وإخلاص	٣٢
جيل نسبه الإسلام	٣٤
جيل دعوة وجهاد	٣٦
غرباء .. ولكن يعايشون الناس	٤٠
جيل قوة وعزة	٤٢
جيل توازن واعتدال	٤٥
أوابون توابون	٥٠
ذلكم هو الجيل المنشود	٥٣
محتويات الكتاب	٥٦

رقم الإيداع

٨٨ / ١٧٩٧

I. S.B. N

977-307-127-3

هذا الكتـــاب

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا » .

[قرآن كريم]

« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » .

[حديث شريف]

- الاسلام بتعاليمه ومعتقداته . بعث أمة من رعاة الغنم وعباد الصنم ، فكون منهم « جيل » قام بنشر الحق والعدل بين الناس .. وأخرجهم من ظلمات الجهالة . إلى نور الإيمان ، ومن الذل والاستكانة . إلى العزة والكرامة .. وظلت هذه الرسالة يتوارثها « جيل » عن « جيل » حتى وفدت إلينا الأفكار « **الدخيلة** » والغريبة عن الاسلام والمسلمين ـــ من علمانية ملحدة ـــ أو شيوعية كافرة .

- وهذا الكتاب « **جيل النصر المنشود** » يحدد المعالم والمواصفات « **لجيل** » يتجاوز العشوائية ، و يكفر بالغوغائية ، ويحتكم إلى الحقائق . و يراعى قوانين الله فى كونه ، كما يراعى أحكامه فى شرعه « **جيل** » يؤمن بالعلم ، ويحترم العقل ، و يرفض الخرافة ، تعلم من القرآن والسنة . أن التفكير فريضة .. وأن طلب العلم جهاد ، وهذا فهو يتعلم قبل أن يعمل ، و يفكر قبل أن يحكم .. « **جيل** » من « الربانيين » عمروا بحب الله قلوبهم ، وشغلوا بطاعته جوارحهم ، فهم بالله ولله ، من الله وإلى الله .. « **أوابون توابون** » .. إلى آخر ما ينبغى أن يكون عليه .. « **الجيل المنشود** » . حتى يستحقوا الوعد الأكيد .. « **ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز** » ..

- **والمؤلف** : الدكتور يوسف القرضاوى ـــ غنى عن التعريف ـــ أثرى المكتبة الاسلامية بكتبه وعلمه الغزير .

- و يسر : **مكتبة وهبة** أن تقوم بنشر هذا الكتاب لتعرف الأمة الاسلامية ما يجب أن يكون عليه « **جيل النصر المنشود** » .

وبالله التوفيق ...

مكتبة وهبة

To: www.al-mostafa.com